Jurnal AL-ANWAR, Volume 11, No. 2, Disember 2022: 114-130

PALESTINIAN POET MAHMOUD DARWISH AND HIS CONCEPT IN RESISTANCE LITERATURE

الشاعر الفلسطيني محمود درويش ومفهومه في أدب المقاومة

Aida Hayati Mohd Sanadi, Nursafira Lubis Safian,
Mohamad Zulfazdlee Abul Hassan Ashari & Firuz-Akhtar Lubis

ABSTRACT

Mahmoud Darwish was one of the most important poets whose names are associated with the poetry of the revolution and the homeland. Resistance literature is his main priority that comes first for him in terms of expressing his spirit, culture, and intellectual direction. He mixed within himself the bitterness of the experience, the harshness of pressure and terror, and the depth of the injustice feeling towards the enemy; hence this helped him in forming a special psyche for a new Arab poet in the occupied land, which we call as the resistance poet. This research aims to look at Mahmoud Darwish's life and poetic experience and the concept of resistance literature. The methodology employed in this research are mainly description and analysis, as they present an overview of the poet's life at the beginning of the study. Then, his concept was analysed in the literature of the resistance in order to reach the desired results. The result of this research illustrated that Mahmoud Darwish grew up on the tragedy of his homeland and suffered a lot from injustice and oppression. As a result, it is noticeable that Mahmoud's resistance literature expresses the reality of feelings and demands of the occupied land people, and bears humane and emotional character, with the sincerity of experience and originality in depicting the human struggle. This poetry may often begin with an expression of pain, injustice, protest, anger and rejection.

Keywords: *Resistance literature, Poetic experience, Occupied land, Mahmoud Darwish.*

ملخص البحث

وقد كان محمود درويش أحد أهم الشعراء الذين ارتبطت أسماؤهم بشعر الثورة والوطن. ولعل أدب المقاومة يأتي في المقام الأول بالنسبة له من حيث تعبيره عن روحه وثقافته واتجاهه الفكري. وقد امتزجت في نفسه مرارة التجربة، وقسوة الضغط والإرهاب، وعمق الإحساس بظلم العدو، وهذا كله ساعده في تكوين نفسية خاصة بالشاعر العربي الجديد في الأرض المحتلة، والذي نسميه بشاعر المقاومة. يهدف هذا البحث إلى إلقاء نظرة على

حياة شاعر محمود درويش الفلسطيني وأعماله الأدبية كما أنه يلقي الضوء على مفهوم أدب المقاومة عنده. يسير هذا البحث على المنهجين: الوصف والتحليل، إذ يقوم الباحثون بعرض نبذة عن حياة الشاعر في بداية الدراسة قبل القيام بتحليل مفهومه في أدب المقاومة للوصول إلى النتائج المرجوة. وقد توصل البحث إلى نتائج منها أن محمود درويش ترعرع على مأساة وطنه وعانى كثيرا من الظلم والقهر وأحس بالاغتراب الشديد في وطنه، فكل تلك الظروف أسهمت إسهاما فعالا في تشكيل شخصيته ومسيرته الشعرية. ويجد الباحثون أيضا أن أدب المقاومة عند محمود هو الأدب الذي يعبر عن حقيقة مشاعر شعب الأرض المحتلة ومطالبهم، والتعبير عن رفض الأمر الواقع، معبأ بإحساس ووعي عميقين بلا معقولية استمرار هذا الواقع، وبضرورة تغييره، والإيمان بإمكانية التغيير. وفي أغلب الأحوال، يبدأ الشاعر شعره بالتعبير عن الألم والظلم، ثم الاحتجاج والغضب والرفض.

الكلمات المفتاحية: *أدب المقاومة، التجربة الشعرية، الأرض المحتلة، محمود درويش.*

المقدمة

يعد الأدب اللسان الناطق للأحداث الاجتماعية، وله دور كبير في بناء الوعي الوطني، حيث يعبر الأدباء فيه عن رؤيتهم الخاصة، فمنهم من يتخذ الرواية أو القصة أو الشعر وسيلة للدعوة إلى المقاومة ولحث الشعب على الدفاع عن حقوقه المسلوبة. وتحتلّ الثقافة الفلسطينية مكانة خاصة في المجتمع العربي، منذ أن تحولت القضية الفلسطينية إلى مشكلة هوية، ومن المعلوم أن الثقافة هي الأكثر تعبيرا عن هوية الشعب وتبيان مآثره، بينما يعدّ الشعر هو الأكثر سيرورة، والأشد التصاقا بالجانب الفكري. وقد ارتبط أدب المقاومة خاصة في الشرق الأوسط بشكل وثيق باسم فلسطين، وهو مرآة الألم واضطهاد شعبها. وقد حازت القضية الفلسطينية على الكثير من مجالات عديدة، منها: علم الاجتماع، وعلم الأدب، وعلم النفس (Kawari, 2019: 35). فقد بزغت أسماء الشعراء الفلسطينيين بعد انطلاقا المقاومة الفلسطينية منهم إبراهيم طوقان، وهارون هاشم رشيد، وتوفيق زياد (Al-Naqqash, 1971: 7).

ازدهرت دراسة أدب المقاومة ازدهارا ملموسا في الآونة الأخيرة، واهتم الأدباء العرب بهذا المجال اهتماما بالغا، فقد أصدر جلّهم كتبا تحمل عناوين تعبر عن ذلك،

ونذكر على سبيل المثال: "أدب المقاومة في فلسطين المحتلة 1948-1966" (1966م)، و"الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال (1948-1968)" (1968م)، وهذان الكتابان لغسان كنفاني، و"أدب المقاومة" (1970م) لغالي شكري، و"محمود درويش شاعر الأرض المحتلة" (1971م) لرجاء نقاش، و"الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة" (1979م) لصالح خليل أبو أصبع.

ومن الأدباء الذين أبرزوا بأقلامهم هذه الظاهرة في أعمالهم الكابية؛ محمود درويش. وقد لقب درويش بشاعر المقاومة الفلسطينية؛ حيث يقول في إحدى لقاءاته: "كنا نكتب عن حالاتنا، وعن معاناتنا، وعن حبنا، وعن طبيعة بلادنا، دون أن نعرف أن هذا الشعر، اسمه شعر المقاومة، إلى أن أطلق المرحوم الكاتب الكبير غسان كنفاني علينا اسم شعراء المقاومة" (Ammarah, 2020'). ولذلك يرى الباحثون أن هذا النوع من الأدب يحتاج إلى دراسة تبين تجربة محمود درويش الحياتية والشعرية ومفهوم أدب المقاومة عنده، فمن الضروري إيجاد المزيد من النماذج المعاصرة ودراستها. وهذا ما يثري الأدب في هذا المضمار خصوصا، وما يثري التراث الأدبي عموما.

حياة محمود درويش: نشأته وثقافته

ولد الشاعر محمود درويش في 13 مارس 1941م في قرية "البروة" (بكسر الباء)، التي تقع شرق المدينة عكا، على مسافة 9 كيلومترات منه، (Mishal, 1999: 496). وقد هدم اليهود هذه القرية كما فعلوا بالكثير من القرى العربية الأخرى، فغيّروا اسمها من "البروة" وهو اسمها الأصلي إلى "أحيهود" ثم حوّلوها إلى موشاف، فصارت قرية تعاونية يهودية، فخرج منها محمود درويش لاجئا إلى لبنان إثر النكبة التي وقعت عام 1948م. ثم عاد إلى فلسطين مرّة أخرى في عام 1939م إلا أنه حُرّم من الجنسية لاعتباره متسللا بشكل غير نظامي، فتحول من "لاجئا" إلى "متسلسل" في وطنه، ويعيش بطريقة غير شرعية (Lajiin, 2020).

يتحدث درويش عن طفولته التي امتزجت بقصة أهله وقريته في حديث مع إحدى الصحف العبرية وهي صحفية "زو هدريخ"، وقد أجرى معه هذا الحديث الصحفي اليهودي "يوسي الغازي" فيقول: "أذكر نفسي عندما كان عمري ست سنوات، كنت أقيم في قرية جميلة وهادئة، هي قرية البروة الواقعة على هضبة خضراء ينبسط أمامها

سهل عكا. وكنت ابنا لأسرة متوسطة الحال عاشت من الزراعة. عندما بلغت السابعة توقعت ألعاب الطفولة. وإني أذكر كيف حدث ذلك. أذكر ذلك تماما: في إحدى ليالي الصيف التي اعتاد فيها القرويون أن يناموا على سطوح المنازل، أيقظتني أمي من نومي فجأة، فوجدت نفسي مع مئات من سكان القرية أعدموا في الغابة، كان الرصاص يتطاير فوق رؤوسنا، ولم أفهم شيئا مما يجري. بعد ليلة من التشرد والهروب وصلت مع أحد أقاربي الضائعين في كل الجهات إلى قرية غريبة ذات أطفال آخرين. تساءلت بسذاجة أين أنا؟ سمعت للمرة الأولى كلمة: ((لبنان))" (Darwish, 1970 :4). ويرى الباحثون أن خروج درويش من قريته البروة كان بداية لحياة جديدة مليئة بالقهر والظلم والمعاناة. وهكذا ترسخت هذه المفاهيم في ذهن هذا الطفل، فبدأ يحس بالمسؤولية تجاه نفسه ووطنه.

ذات ليلة، بعد أكثر من سنة، أبلغوه أنهم سيعودون إلى بيتهم، لكن العودة كانت –بالفعل– إلى عالم جديد. فما أشد خيبة الأمل! يعبر محمود درويش عن هذا قائلا: "أذكر جيدا أني لم أنم في تلك الليلة.. لم أنك من شدة الفرح. فالعودة إلى البيت تعني –بالنسبة لي– نهاية الجبنة الصفراء، نهاية تحرشات الأولاد اللبنانيين الذين كانوا يشتمونني بكلمة ((لاجئ)) المهينة. إني أذكر الزحف على البطون لكيلا يرانا أحد. وبعد رحلة مضنية، وجدت نفسي في إحدى القرى. ولكن ما أشد خيبة أملي: لقد وصلت إلى قرية دير الأسد، وهي ليست قريتي. لا بيتي هنا ولا زقاقي. سألت: متى نعود إلى قريتنا.. إلى منزلنا. ولم تكن الأجوبة مقنعة. ولم أفهم شيئا. لم أفهم معنى أن تكون القرية مهدمة، لم أفهم معنى أن يكون عالمي الخاص قد انتهى إلى غير رجعة ولم أفهم لماذا هدموا هذا العالم.. ومن هم أولئك الذين هدموّ (Darwish, 1970: 4). هكذا بدأ القاموس اللغوي للشاعر يتسع شيئا فشيئا حتى تعدى على حياة الكبار، وقضايا الكبار، واتضح له بمنتهى خيبة الأمل أنه لم يعد إلى منبع الأحلام، ولم يعد إلى رفاق الطفولة. لهذا كان يشعر بألم شديد لأنه يعيش في وطنه، ولكنه لا يستطيع زيارة قريته التي تحمل بين جنباتها طفولته وذكرياته الجميلة. فكانت هذه بدايةً لحياة جديدة من القهر والمعاناة والظلم، والألم. فعانى بسببها الكثير من التشرد والملاحقة والسجن.

وفي الحقيقة فإن محمود درويش وشعره كانا شوكة في عيون السلطة الإسرائيلية (Darwish, 1970: 4). ولهذا اعتقل خمس مرات أي في هذه الفترات الزمنية: 1961م، و1965م، و1966م، و1967م، و1969م (Darwish, n.d). أما المرة الأولى التي اعتقل

فيها فكانت في سنة 1961م لأنه انتقل من قرية "الجديدة" ليعيش وحده في مدينة حيفا سنة 1960م فاعتقله البوليس الإسرائيلي في مسكنه (Ḥidar, 1991: 17). يقول درويش عن التجربة الأولى له مع السجن: "إن السجن الأول مثل الحب الأول ما ينسى" (Mishāl, 1999: 471). دخل درويش بعد القبض عليه إلى سجن "الجملة" قرب مدينة الناصرة –وهي إحدى المدن العربية الكبيرة في الأرض المحتلة– وبقي فيها مدة أسبوعين بدون أي محاكمة، وكان عمره آنذاك عشرون سنة (Mishal, 1999: 471).

وحدث السجن الثاني لمحمود درويش سنة 1965م، لأنه سافر بدون تصريح من مدينة حيفا إلى القدس، للاشتراك في أمسية شعرية عقدها الطلبة العرب في الجامعة العبرية، فقد كان ينبغي على كل عربي أن يحمل تصريحا خاصا إذا أراد أن ينتقل من مكان إلى آخر، وهناك ألقى قصيدته الطويلة المعروفة بـ"نشيد الرجال"، وهي القصيدة التي نشرها بعد ذلك في ديوانه الثالث "عاشق من فلسطين" (Mishal, 1999: 471).

وما بين عامي 1965م و1967م سُجن محمود درويش مرة ثالثة، وذلك عندما حامتْ حوله شبهة القيام ببعض الأنشطة المعادية لإسرائيل، وفي هذه المرّة انتدبت له المحكمة أحد المحامين، فحاول أن يقدم اعتذارا نيابة عن محمود درويش نظرا للمخالفة التي ارتكبها، مع تقديم الوعد بألا يكرر هذه المخالفة مرة أخرى. عندما سأل القاضي محمود درويش عن رأيه فيما يقوله المحامي، فأجابه: "المحامي يعبر عن وجهة نظره، ولكنني لا أعترف بما يقول، ولن أردد هذا القول أو أؤيده أبدا"، فحكمت المحكمة عليه بغرامة مالية قدرها مئتا ليرة إسرائيلية (Mishal, 1999: 471; Raja, 1971: 112).

ذاع اسم محمود درويش باعتباره شخصية عربية مناضلة ضد الاحتلال، ولخطورة هذا الأمر، أصدر رئيس أركان الجيش الإسرائيلي إسحاق رابين في 4 يونيو سنة 1967م أوامره باعتقال كل المثقفين العرب، فاختفى محمود درويش حينها، وكان الهدف من اختفائه أن يشرف على إصدار جريدة "الاتحاد" العربية بعد أن تم اعتقال جميع المحررين فيها، وكان اليوم التالي أي 5 يونيو وهو موعد إصدار هذه الجريدة، فكانت تصدر مرتين كل أسبوع. وبعد ظهور نتائج معركة 1967م والهزيمة التي حلت بالعرب، عاد محمود درويش إلى بيته، ثم بعدها بخمسة أيام تم اعتقاله بدون أي محاكمة وظل في سجن "الدامون" لمدة شهر تقريبا. يقول درويش عن هذه الفترة: "إن السجن كان أرحم من

الخارج لأن الوضع كان مؤلما بعد الهزيمة العربية" (Mishal, 1999: 471; Raja, 1971: 112).ومن بين الأدباء والشعراء العرب في فلسطين المحتلة الذين سيقوا إلى السجن، وتوعدهم عذاب السجون: سميح القاسم، وسالم جبران، وتوفيق زياد (Ghassān,1968: 27-28).

اعتقل محمود درويش للمرة الخامسة سنة 1969م في سجن "الجملة" وذلك بعد أن نسف الفدائيون عدة بيوت في مدينة حيفا، وبقي في السجن لمدة عشرين يوما. ومن هنا أصبح عرضة للاعتقال بعد أي تدبير صهيوني مما أدى إلى نفيه خارج الوطن (Raja, 1971: 112). فعاش في الأرض المحتلة معدما، حيث كان مصدره الوحيد للحياة قلمه، فكانت إلهاما لكتاباته وفنه. يتحدث الشاعر عن صور الاضطهاد الذي لقيه، ويلقاه كل فنان ومناضل، بل وكل مواطن في الأرض المحتلة فيقول: "أكتب ما أشاء وادفع الثمن الذي نشاء.. والثمن هو: فقدان العمل... الاضطهاد... الحجز في البيت... السجن! وهكذا أصدرت السلطات العسكرية أوامر الإقامة الإجبارية ضد الشعراء العرب التقدميين بدون استثناء" (Raja, 1971: 116). وهذا التحدي هو ما يواجهه المثقف العربي في فلسطين المحتلة بصورة أكثر اتساعا وقسوة من أي مثقف آخر حول العالم، لأنهم لا يمتلكون لديهم الفرصة ليعبّروا عن مشاعرهم العميقة، وما الذي يعانونه، وما الذي يتمردون عليه.

توفي محمود درويش في يوم السبت الموافق 9 آب 2008م في الولايات المتحدة بعد إجرائه لعملية قلب مفتوح في مركز تكساس الطبي بمدينة هيوستن، وقد تم نقل جثمانه إلى مدينة رام الله في الضفة الغربية حيث دُفن فيها، وكانت وصيته أن تقام له جنازة هادئة حسنة التنظيم، ليكون الوداع جميلا (AlJazeera, 2014).

تعليمه وأفكاره

كان محمود درويش موهوبا في فن الرسم، إلا أن موارد أسرته المحدودة لم تكن تسمح له بأن يشتري ما يحتاجه من أدوات وألوان، فاتجه إلى الرسم بالكلمات وكتابة الشعر نظرا لكونها لا تتطلب نفقات مالية (Ṣabri, 1994: 20). ومن الملاحظ أن محمود بدأ يخطو خطواته الأولى في الإبداع والتفكير منذ أن كان في الصف الثامن. فكانت مواضيع

محاولاته الشعرية الأولى بمثابة مشاعر الطفولة، فحاول الكتابة أحيانا حول مواضيع ذات وزن، مع أنها كانت أكبر من قدراته في ذلك السن (Nizwa, 2002).

وقد شجعه المعلمون على الكتابة، ومن بينهم معلم شيوعي يدعى ((نمر مرقس)). وهم من قاموا بتوجيهه وساعدوه في خطواته الأولى من الشعر (Darwish, 1970: 5). ونرى هنا أن للمدرسة دورا عظيما في بناء شخصيته، وكان أسلوب المعلمين سببا فعالا في زيادة حبه للشعر، إضافة إلى أنهم استطاعوا الكشف عن مهارة التفكير والإبداع لدى تلاميذهم ومن ضمنهم محمود درويش، فكانت موهبته ترتبط أشد الارتباط بحركة النضال في فلسطين، كيف لا؟ وهو الطفل الذي نشأ وترعرع على مأساة وطنه، وعانى كثيرا من الظلم والقهر. وأحس بالاغتراب الشديد في وطنه، وكل هذه الظروف أسهمت إسهاما فعالا في تشكيل شخصيته ومسيرته الشعرية.

كان محمود درويش تلميذا مجتهدا متفوقا في مدرسته ويهتم اهتماما شديدا بمطالعة الأدب العربي، يتحدث عن نفسه قائلا: "اعتبرت تلميذا متفوقا. كنت أكثر من مطالعة الأدب العربي. وقلدت الشعر الجاهلي في محاولاتي الشعرية الأولى" (Darwish, 1970: 5). وقد ظهر ذكاؤه منذ أن كان طالبا في الصف الثامن، حيث طلب منه مدير المدرسة أن يشترك في مهرجان بقرية ((دير الأسد)). ولأول مرة في حياته وقف أمام الميكروفون بالبنطلون القصير، وقرأ قصيدة كانت صرخة من طفل عربي إلى طفل يهودي، ذكر محمود تفاصيل تلك القصيدة فقال: "لا أذكر القصيدة ولكني أذكر فكرتها: يا صديقي! بوسعك أن تلعب تحت الشمس كما تشاء. بوسعك أن تصنع ألعابا. ولكني لا أستطيع. أنا لا أملك ما تملكه. لك بيت وليس لي بيت، فأنا لاجئ. لك أعياد وأفراح. وأنا بلا عيد أو فرح.. ولماذا لا نلعب معا؟" (Darwish, 1970: 5).

وفي اليوم التالي استدعاه الحاكم العسكري في قرية ((مجد الكروم)) إلى مكتبه فهدده وشتمه، ولكنه لم يعرف كيف يرد عليه. وعندما خرج من المكتبة بكى بكاء مرا لأن الحاكم أنهى تهديده بقوله: "إذا مضيت في كتابة مثل هذه الأشعار فلن نسمح لأبيك بالعمل في المحجر!" (Darwish, 1970: 5). وبمنطق الصبي قال لنفسه: "سأحصل على القصاص. ولن أكتب. وبالمنطق ذاته عجزت عن فهم السبب الذي يجعل مثل تلك القصيدة تثير حاكما عسكريا." وذلك الحاكم العسكري كان أول يهودي يقابله، ويتحدث إليه، يقول عنه: "إذا كان الأمر كذلك فلماذا أتحدث إلى الطفل اليهودي؟"

(Darwish, 1970: 5). وكيف يفهم الصبي فكرة غريبة تحرمه من اللعب في بلده، في حين يستمتع الوافدون من مشارق الأرض ومغاربها باللعب فيها وكيف يفهم ألا يكون له بيت في وطنه. بل كيف يعقل أن يمنعوه من كتابة الشعر، ويهددوا والده في رزقه بسبب هذا. ومن هنا، تحول الحاكم العسكري في نظرة محمود درويش إلى رمز للشر الذي يؤذي العلاقات بين الشعبين –اليهود والعرب–.

وبعد ذلك الحادث ببضعة أشهر، انتقل محمود درويش إلى مدرسة كفر ياسيف الثانوية. فالتقى بشخصية يهودية أخرى تختلف عن الحاكم العسكري تمام الاختلاف، فاسمها ((شوشنة))، وهي لم تكن معلمة فحسب، بل كانت أما أيضا (Ian, 2019: 6). لقد أنقذتْه من جحيم الكراهية فعلّمتْه شوشنة أن يفهم الثورة كعمل أدبي، وعلّمتْه أيضا دراسة بياليك بعيدا عن التحمس لانتمائه السياسي، وإنما لحرارته الشعرية. ثم أكمل محمود دراسته في الأراضي المحتلة حتى نال الشهادة الثانوية من كفر ياسيف (Sami Yusuf, 2014: 291).

انضم محمود درويش إلى الحزب الشيوعي الإسرائيلي في فلسطين، وعمل في صحيفتين تابعتين لها، وهما صحيفة ((الاتحاد)) ومجلة ((الجديد))، وهذا الحزب يتيح الفرصة للأقلام العربية للتعبير عن آرائها في صحفه المختلفة (Raja, 1971: 113). وظلت السلطات الإسرائيلية تطارد محمود وتعتقله منذ عام 1961م، بتهم تتعلق بأنشطته السياسية وقصائده التي تحدّى بها مزاعم اليهود، ثم سافر محمود درويش إلى موسكو عام 1970م لدراسة الاقتصاد في معهد العلوم الاجتماعية، واستطاع أن يحصل على البعثة الجامعية بعد جهد كبير، من خلال الحزب الشيوعي الإسرائيلي، ومكث في موسكو قرابة عام واحد. ثم توجه إلى القاهرة في فبراير عام 1971م، وعمل في جريدة "الأهرام"، ولم يلبث أن انتقل إلى لبنان، ليترأس مركز الأبحاث الفلسطينية هناك، فشغل منصب رئيس رابطة الكتّاب والصحافيين الفلسطينيين، وأسس مجلة "الكرمل الثقافية" (Sami Yusuf, 2014: 291).

ثم، عاش في بيروت فترة امتدت من عام 1973م وحتى عام1982م في بيروت، وتولّى فيها رئاسة تحرير مجلة شؤون فلسطينية (Nahiḍ Khamis, 2019: 390). وفي سنة 1987م، انتخب درويش عضوا في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ثم مستشارا للرئيس الراحل ياسر عرفات. ثم استقال من هذه اللجنة عام 1993م

احتجاجا على توقيع اتفاقية أوسلو. ومنذ عام 1996م، عاش محمود متنقلا بين باريس وعمان، ثم عاد بعد ذلك إلى فلسطين ليقيم في مدينة رام الله، ورفض أي منصب حكومي في السلطة الوطنية، وفضل أن يبقى شاعر(Nathari, 2011: 52-78) .

ولمحمود درويش ما يزيد على ثلاثين ديوانا من الشعر والنثر، وقد ترجم شعره إلى لغات العالم المختلفة (Nathari, 2011: 52)، أهمها الفرنسية والإنجليزية والألمانية والإيطالية والروسية وغيرها من اللغات الأخرى (Khamis,2019: 392). ومن الأعمال المترجمة: "عاشق من فلسطين"، و"آخر الليل"، و"حبيبتي تنهض من نومها"، و"أحد عشر كوكبا". ونذكر هنا من نتاج محمود درويش الأدبي ما يلي بحسب تاريخ صدوره أول مرة (Yusuf, 2014: 292):

أ) الدواوين:

1- عصافير بلا أجنحة (1960م)
2- أوراق الزيتون (1964م)
3- عاشق من فلسطين (1966م)
4- آخر الليل (1967م)
5- العصافير تموت في الجليل (1969م)
6- يوميات جرح فلسطيني (1969م)
7- الكتابة على ضوء البندقية (1970م)
8- حبيبتي تنهض من نومها (1970م)
9- أحبك أو لا أحبك (1972م)
10- محاولة رقم 7 (1973م)
11- تلك صورتها وهذا انتحار العاشق (1975م)
12- أعراس (1977م)
13- مديح الظل العالي (قصيدة تسجيلية) (1983م)
14- حصار لمدائح البحر (1984م)
15- هي أغنية.. هي أغنية (1986م)
16- ورد أقل (1986م)
17- مأساة النرجس ملهاة الفضة (1987م)

18- أرى ما أريد (1990م)
19- أحد عشر كوكبا (1992م)
20- لماذا تركت الحصان وحيدا (1995م)
21- سرير الغريبة (1999م)
22- جدارية (2000م)
23- حالة حصار (2002م)
24- لا تعتذر عما فعلت (2004م)
25- كزهر اللوز أو أبعد (2005م)
26- لا أريد لهذه القصيدة أن تنتهي (2008م)

وقد حصل محمود درويش على عدد من الجوائز، ليس على المستوى الفلسطيني فحسب، بل وعلى المستويين العربي والعالمي أيضا، منها جائزة لوتس عام 1969م، وجائزة البحر المتوسط عام 1980م، ودرع الثورة الفلسطينية عام 1981م، ولوحة أوروبا للشعر عام 1981م، وجائزة ابن سينا في الاتحاد السوفيتي عام 1982م، وجائزة لينين في الاتحاد السوفيتي عام 1983م(Khamis, 2019: 393) .

أدب المقاومة لغة واصطلاحا

قبل التطرق إلى تعريف أدب المقاومة عند محمود درويش لا بد من الوقوف على المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة المقاومة. جذرها قَوَمَ، وهي مصدر قياسي للفعل الثلاثي المزيد بالألف (قَاوَمَ)، فيقال: قَاوَمَ، يُقَاومُ، مقاومة. ومع أن كلمة "المقاومة" مصطلح جديد، لكن دلالاتها اللغوية وردت في معظم المعاجم؛ فقد وردت في "العين" للخليل بن أحمد (ت170هـ) بأنه: "قاومته في كذا، أي نازلته. تقول: تقاوموا فيما بينهم. وإذا انقاد، واستمرّت طريقته، فقد استقام لوجهه"(Al-Farahidi, 2003: 445). ومعناها: منازلة، فيقال: ما زلت أقاوم فلانا في هذا الأمر، أي أُنازله.

ورد في لسان العرب "قاومه في المصارعة وغيرها وتقاوموا في الحرب أي قام بعضهم لبعض"(Ibn Manzur, n.d: 499). وجاء في المعجم الوسيط أن "قاوم، أي تقوموا في الحرب: قام بعضهم لبعض"(Ibrahim Anis, 2004: 768). "فالكلمة بهذا

المعنى تعني استخدام المقاتل لكافة قدراته وقوّته الجسمية والعضلية، وكذلك ما يملك من وسائل لمواجهة عدوّه في الحرب. أما اليوم فقد تطوّر مفهوم الكلمة وصار يعني شيئا آخر معنويّا وهذا بعيد عن الاستخدام المادّي، ذلك أن الإنسان المقاوم هو الذي يقف في وجه الظلم والاستبداد، بغرض الدفاع عن العرض والدين والشرف والوطن" (Kawari, 2019: 37).

واستُخدمت في بعض القواميس الحديثة بمعنى الصدّ باستعمال القوّة، فيقال: قاوم فلانا أي استعمل القوّة ضدّه. ويعد لفظ المقاومة من المصطلحات التي كثُر استعمالها مؤخرا في كتابات المعاصرين بدل مصطلح الجهاد، أو القتال؛ وهو المعنى الذي قصده قدامى الفقهاء الذين استخدموا هذا اللفظ في عباراتهم وهم يتحدثون عن جهاد الكفّار (Al-Qarawlah, 2006: 17).

جاء في "المورد" بأنّ المقاومة هي: "نشاط يقوم به فريق من أبناء البلد المحتل ضدّ غزاته، وقوامها التخريب وتوجيه الضربات الخاطفة والسريّة إلى قوّات الاحتلال والمتعاونين معها"(Al-Ba'labakkiy, 1997: 780). فقد عرف العرب أدب المقاومة منذ الجاهلية، وكان الشعراء يستخدمونه في تسجيل مآثرهم والدفاع عن قومهم. وتطور هذا الأدب في جميع البلدان العربية في السورية والعراق والمغرب والخليج العربي وليبيا لا حصر لها كما أنه نشأ خارج الوطن. ومن الجدير بالذكر، تحتاج دراسة هذا الأدب إلى دراسة موضوعية وموسوعية. فالعصر الراهن يحتاج إلى أدب المقاومة أكثر من قبل، لأن الطغيان والظلم كثر في كل مكان.

وبهذا المرور السريع على معاني كلمة "المقاومة" في المعاجم نستطيع القول إنّ استخدام هذه الكلمة تعني المنازلة لمواجهة الاحتلال الأجنبي، ومن خلال ما تقدّم من بيان لمعنى المقاومة في اللغة وفي القواميس وما ورد في بعض تعريفاتها عند الأدباء من ملاحظات، يمكن أن نعرّفها بأنها: منازلة الأعداء بكافة الوسائل المعتبرة شرعا لنصرة الإسلام والمسلمين. فهذا التعريف اعتمد على معنى المقاومة في اللغة؛ أي المنازلة. والمنازلة قد تكون بالقتال، وقد تكون بغيره على سبيل المثال: الحوار، والنقاش، والدعوة، والشعر. ويمكن التوسع في هذا المفهوم ليشمل مقاومة صور القُبح، والاضطهاد، والظلم، والتهميش على الأرض العربية، سواء ما كان منها تحت الاحتلال أو غير ذلك.

مفهوم أدب المقاومة عند محمود درويش

عرّف محمود درويش أدب المقاومة في الحوار المعنون بـ"محمود درويش: حياتي وقضيتي وشعري"، والذي أجراه معه محمد دكروب بأنه: "**تعبير عن رفض الأمر الواقع، معبأ بإحساس ووعي عميقين بلا معقولية استمرار هذا الواقع وبضرورة تغييره والإيمان بإمكانية التغيير. قد يبدأ هذا الشعر غالبا، بالتعبير عن الألم والظلم، ثم الاحتجاج والغضب والرفض**"(Muḥammad, 2008) .

يريد محمود درويش من هذا التعريف الإشارة إلى أن هذا النوع من الأدب يعبر عن حقيقة مشاعر شعب الأرض المحتلة ومطالبهم –ويعني بذلك الشعب الفلسطيني– فيحمل طابعاً إنسانياً ووجدانياً، مع صدق التجربة والأصالة في تصوير صراع الإنسان، باعتبار أن هؤلاء لم يخسروا أهلهم وأحبابهم فقط، بل خسروا وطنهم أيضاً.

إضافةً إلى ذلك، صرّح محمود درويش فقال: "إن شعر المقاومة، بطبيعته، شعر ثوري. وكون هذا الشعر جماهيريا قد يهلك أشباه الشعراء فنيا، عندما تصبح النية الطيبة والمباشرة والخطابة الرنانة هي العناصر الأساسية في شعرهم." إذا أمعنا النظر في مفهوم المقاومة عند محمود درويش، نجد أنه ربط أدب المقاومة بمقاومة الطغيان والشر، وعدم الرضا عن قمع الحريات الشخصية في المجتمع، والثورة على الظروف القائمة، ومن ثم ظهر أن معظم احتجاجاته كانت ضد من سلبوا الحريات الشخصية للبشر.

وقد أشار محمود درويش إلى أنه حينما بدأ كتابة الشعر لم يكن يعرف أنه كان يكتب شعر المقاومة، لأن غسان كنفاني هو الذي أطلق هذا المصطلح عليه وعلى رفاقه من الشعراء (Adil, 2018: 8‘). وعبر عن ذلك في قوله: "فليس من الضروري، لا شعريا ولا عمليا، أن يقول المقاومة إنه يقاوم، كما ليس من الضروري أن يقول العاشق إنه يعشق. لقد سمانا غسان كنفاني ((شعراء المقاومة)) دون أن نعلم أننا شعراء مقاومة. كنا نكتب حياتنا كما نعيشها ونراها. وندوّن أحلامنا بالحرية وإصرارنا على أن نكون كما نريد. ونكتب قصائد حبّ للوطن ونساء. فليس كل شيء رمزيا" (Darwish, 2004: 209). من هنا، يظهر أنه لم يوظف شعره في التعبير عن ذاته فقط، وإنما ربط مشاعره الذاتية الثائرة مع الواقع حوله.

وعندما تحولت قضية الأرض المحتلة إلى قضية شعب يقاوم بالرصاص لا قضية مشردين ولاجئين، تحول في الوقت نفسه الشعر إلى قصائد وأناشيد وأغاني رائعة على يد

محمود درويش ورفاقه من شعراء المقاومة، فتحولت القضية إلى فن جميل نبيل اهتز له وجدان الناس جميعا في الأراضي العربية، وذلك لأن الفن يدل على النبض الإنساني، حتى ظهر المغنون والمنشدون من أبناء هذه الأرض المظلومة الجريحة (Raja, 1971: 21).

وقد صرح محمود درويش في مقابلة صحفية مع مجلة العالم فقال: "مهمتي حماية هوية شعبي، في كل بيت من أبيات شعر تعبير فني صادق عن مأساة الشاعر ومأساة أهله وجيله وبني قومه. ونحن الآن مصابون بأزمة لا الوطن فقط ولا مكان إقامة، عندنا أزمة قبور. وعندما يموت الفلسطيني الآن لا نعرف أين ندفنه، ألا يكفينا أننا لا نملك حق الحياة في وطن ولا نملك حق الحياة في منفى؟" (Muḥammad,2008: 6).

ومما لا شك فيه أن محمود درويش دخل من خلال شعره إلى أعماق الوجدان الفلسطيني، فكان يثير المجتمع ليثور على الظلم والاحتلال، من هنا يتضح دور الشاعر في المجتمع وأثره فيه (Farraj, 2020: 3). ينشد محمود درويش فيقول (Darwish, 1970: 347):

آه، يا جُرْحِي المكابر
وطني ليس حقيبة
وأنا، لست مسافر
إنني العاشق والأرض حبيبة

يكتب محمود درويش الشعر ليعبر عن همومه وهموم أبناء وطنه، وما يمر به من تجارب، ولم يكتب شعرا بناء على وصفة جاهزة، فكتب الشعر الذي نعته كنفاني في كتابه بأنه شعر مقاومة، وهنا تجدر الإشارة إلى ما قاله الفيلسوف الفرنسي ديكارت في مقولته المشهورة "أنا أفكر، إذن فأنا كائن أو موجود"، والأديب المقاوم يؤمن بهذه المقولة تمام الإيمان وهي: "أنا أقاوم إذن فأنا موجود أو أنا حر"، إذ لا يمكن في الأدب المقاوم الفصل بين مستقبل الإنسان ومستقبل الفكر، لأن المقاومة فلسفيا هي الدفاع عن حق مغتصب (‘Anad,2005: 27).

وقد أوضح في إحدى اللقاءات أنه يخاف من انقياد الشعراء لشعر المقاومة فيفقد الشعر مبادئه الجمالية، فهو يرى أنه من المؤسف على الشاعر الفلسطيني أن يوضع في مثل هذا المستوى من التساؤل، أي أنّ كل تطور سياسي في القضية الفلسطينية يجب أن ينعكس على القصيدة الشعرية الفلسطينية، فيجب على الشاعر الفلسطيني أن يكون مؤرخاً للقصيدة الفلسطينية أكثر من كونه شاعر الوجدان، والروح الفلسطينية (‘Ammarah, 2020).

ومن سمات شعر محمود درويش وشعراء المقاومة عموما أن أشعارهم حماسية الطبع، لأنهم جعلوا الموضوع القومي والوطني والثوري مادة شعرهم، حيث مزج محمود درويش في شعره بين التحرر الاجتماعي والتحرر الوطن (‘Imad ‘Ali, 2009: 73-74) لأنه عاش في فترة شهدت أزمات سياسية في جميع الدول العربية، فعانى من المصاعب والعقبات، وبذلك نجد في شعره مظهرا من مظاهر الشعر المقاوم، وبساطة اللغة، والتعبير وسلاسته، وقربه الشديد من حديث الناس عن حياتهم اليومية.

وعليه، يمكننا القول إن الظروف القاهرة التي تمرّ بها فلسطين اليوم، جعلت من أفكار الشاعر مؤرقة للعدو المحتل، ومنعته من التفكير بما سوى فلسطين، لذلك نجده يلجأ إلى سلاح معنوي أكثر قوة وهو سلاح المقاومة بالشعر والفن في هذا الواقع المتأزم، وفي عالم أحاطه الدمار والخراب.

يؤكد محمود درويش أن الشعر المعبر عن سمات الإنسانية والهموم الفردية –وهي ليست فردية تماما– في سياق الصراع الطويل، أنه يمثّل البعد الإنساني الذاتي من فعل المقاومة الشعرية، حتى لو كان شعر حُبّ أو طبيعة، أو تأمّلا في وردة، أو خوفاً من موت طبيعي، وإن الجمال حرية والحرية جمال، وهكذا يكون الشعر المدافع عن الحياة شكلاً من أشكال المقاومة، فيرى أن من أنقى ميزات شعر المقاومة –عادة– الصفاء الإنساني الشامل، فصرخة الإنسان المضطهد المقاوم في أي مكان تعتبر صرخة إنسانيةً تنطلق من كل إنسان (Muḥammad, 2008)؛ لأن القتل، والظلم، والسجن، والاضطهاد وقائع معادية للإنسانية غير منحصرة في حدود جغرافية.

ومن ثم يشير محمود درويش بشكل غير مباشر إلى أن أدب المقاومة لا بد أن يكون من الآداب الإنسانية التي نجدها في كل أمة من الأمم لرفض الظلم والتمرد عليه، وبالتالي فإن هذا الأدب الإنساني يلتزم عادة بقضايا التحرر، وأصبح مفهومه اليوم واسع الانتشار في الأدب العالمي، وخاصة في الأدب العربي المعاصر، نظراً لبقاء فلسطين تحت الاحتلال إلى يومنا هذا، بينما تحررت الأقطار العربية الأخرى من الاستعمار الذي تسلّط عليها.

الخاتمة

توصلت الدراسة إلى أن محمود درويش نشأ وترعرع على مأساة وطنه، وعانى كثيرا من الظلم والقهر. وأحس بالاغتراب الشديد في وطنه، وكل تلك الظروف أسهمت إسهاما فعالا في تشكيل شخصيته ومسيرته الشعرية. فنجد أن الشاعر المقاوم عند محمود درويش هو الذي عبّر في شعره عن معاناة أمّته بأسلوب عاطفي ورائع ليغذّي عقولهم بمضامينه الفكرية، ويشجّعهم على رفض الظلم، والتحرر من كل القيود، والسعي نحو تحقيق العدالة، ولا شك أن الظلم مكروه ومخالف للطبيعة البشرية، ولذلك فإن المقاومة تعتبر فطرة في البشر غرسها الله في نفوسهم. وبشكل عام يمكن القول إن شعراء المقاومة هم من يحملون راية الإصلاح الاجتماعي، والدفاع عن الإنسانية، ولهذا لم يخلُ أدبهم من ثقة وإيمان بالمستقبل، وانتصار حركات التحرر الوطني في العالم، لأنه ليس لهم خيار إلا المقاومة فقط. وعاش محمود في فترة شهدت أزمات سياسية في جميع الدول العربية، فعانى من المصاعب والعقبات، وبذلك نجد في شعره مظهرا من مظاهر الشعر المقاوم، وبساطة اللغة، وسلاسة التعبير، وقربه الشديد من حديث الناس عن حياتهم اليومية.

الرسم البياني لمفهوم أدب المقاومة عند محمود درويش

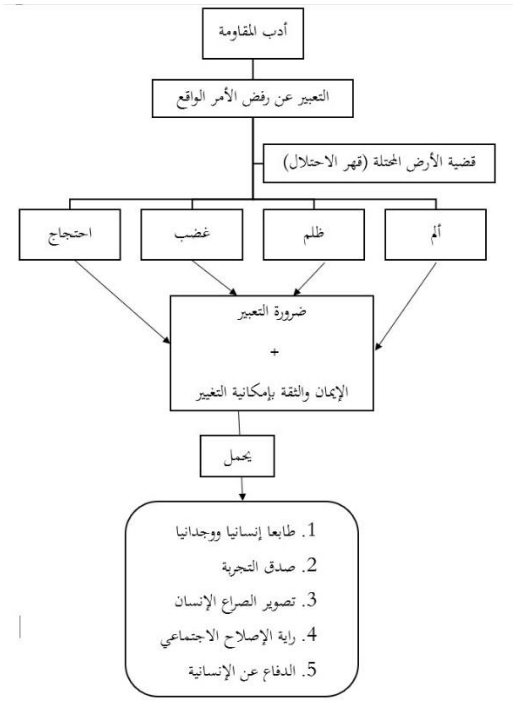

References

Abū Hawwāsh, Sāmir. *Ḥiwār ma'a Maḥmūd Darwish,* https://www.nizwa.com/

Abū Zayd, Sāmī Yūsuf. (2014). *Al-Adab al-'Arabī al-Ḥadīth (al-Shi'r).* 1st edition. Amman: Dār al-Masīrah li al-Nashr wa al-Tawzī'.

Al-Asṭah, 'Ādil. (2018). *Adab al-Muqāwamah min Tafāul al-Bidāyāt ilā Khaibah al- Nihāyāt*. 2nd edition. Damascus: Muassasah Filasṭīn li al-Thaqāfah.

Ālā 'Ammārah. (2020). *Maḥmūd Darwish.. Shā'ir al-Muqāwamah al-Filasṭīniyyah wa Awwal Manāshid bi al-Hawiyyah al-'Arabiyyah.* https://www.arageek.com/2020/07/01/mahmoud-darwish-the-poet-

Al-Ba'labakkī, Munīr. (1997). Al-Mawrid. 31st edition. Beirut: Dār al-'Ilm li al-Malāyin.

Al-Jazeera. (2014). *Maḥmūd Darwish. Retrieved from:* https://www.aljazeera.net/encyclopedia/icons/2014/9/20/

Al-Naqqāsh, Rajā .(1971) ,*Maḥmūd Darwish: Shā'ir al-Arḍ al-Muḥtallah*. 2nd edition. Alexandria: Dār al-Hilāl.

Dakrūb, Muḥammad. (2008, December). Maḥmūd Darwish: Ḥayātī, wa Qaḍiyyatī, wa Shi'rī. *Majallah al-Kalimah al-Lubnāniyyah*, No.21.

Darwish, Maḥmūd. (n.d.). *'Aṣāfīr bilā Ajniḥah.* Beirut: Dār al-'Audah.

Darwish, Maḥmūd. (1970, April). *Lahum al-Layl wa al-Nahr Lī,* Hadīthḥ Ajrāhu ma'ahu bi al-Lughah al-'Ibriyyah Yūsī al-Ghāzī, wa nasyarat Tarjamah al-'Arabiyyah fī Majallah al-Ādāb al-Bairutiyyah.

Darwish, Maḥmūd. (2004). *Al-'Amāl al-Kāmilah: Maḥmūd Darwish.* 1st edition, v3. Riyāḍh al-Rays li al-Kutub wa al-Nashr.

Al-Farahīdī, al-Khalīl. (2003). *Kitāb al-'Ayn*, ed: 'Abdul Hamīd al-Handawī, 1st edition, (Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah).

Farrāj, Bashīr. (2020). *Malāmiḥ Dawr al-Shā'ir Mahmūd Darwish fī al-Mujtama' al- Filasṭīnī,* Beirut Arab University, (BAU) Journal - Society, Culture and Human Behavior, Vol. 1: Issue 2, Article 4.

Ghazwān, 'Anād. (2005). *Asfār fī al-Naqd wa al-Tarjamah.* 1st edition. Baghdad: Dār al-Shuūn al-Thaqāfiyyah al-'Āmmah.

Ḥāfiẓ, Ṣabrī. (1994). *Silsilat al-Shi'r wa al-Shu'arā: Maḥmūd Darwish. 1st edition.* Beirut: Dār al-Fatā al-'Arabī.

Kanfānī, Ghassān. (1968). *Al-Adab al-Filasṭīnī al-Muqāwim Taḥta al-Iḥtilāl 1948-1968*. 1st edition. Beirut: Waqfiyyah al-Amīr Ghāzī li al-Fikr al-Qurānī.

Kanfānī, Ghassān. (2015). *Adab al-Muqāwamah fi Filasṭīn al-Muḥtallah 1948-1966*. 1st edition. Beirut: Maṭba'ah Karkī.

Kawārī, ‘Alī. (2019). *Maẓāhir Adab al-Muqāwamah fī Dīwān Nubūāt al-Jā’iīn li Ayman al- Atoum.* Algerian Scientific Journal Platform. (03)11.

Khalīl Juḥā, Mishal. (1999). Al-Shi’r al-‘Arabī al-Ḥadīth min Aḥmad Shawqī ilā *Maḥmūd Darwish*. 1st edition. Beirut: Dār al-‘Audah wa Dār al-Thaqāfah.

Lājiīn (2020). *12 ‘Āman ‘alā Raḥīl Shā’ir Filasṭīn Maḥmūd Darwish*. Retrieved from: https://refugeesps.net/post/14844/12

Mahmoud Darwish Foundation. (n.d.). *Mahmūd Darwish: al-Sīrah al-ẓātiah*. Retrieved from: http://mahmouddarwish.ps/article/

Majdī, Ḥassan, Jān Nathārī. (2011, June). Al-Khaṣāiṣ al-Fanniyah li Maḍāmīn Shi’r Maḥmūd Darwish, *Iḍāaāt Naqdiyyah (Faṣliyyah Muhakkamah)*.

Muḥammad al-Ṭūrah, Anwar. (2016). *Taḥawwulāt al-Ru’yā fī Shi’r Maḥmūd Darwish*. Risālah Duktūrah fī al-Dirāsāt al-Adabiyyah. Mu’tah: Jāmiah Mu’tah.

Munir Ghannam, Amira El-Zein. (2019). Reflecting on the Life and Work of Mahmoud Darwish, *Center of International and Regional Studies*, 3rd edition.

Nizwa. (2002). *Ḥiwār maa’ Mahmūd Darwish*. Retrieved from: https://www.nizwa.com/

Salīm al-Khaṭīb, ‘Imād ‘Alī. (2009). *Fī al-Adab al-Ḥadīth wa Naqdihī: ‘Arḍ wa Tawthīq wa Taṭbīq*. 1st edition. Amman: Dār al-Masīrah li al-Nashr wa al-Tawzī.

Suad A H S M Alenzi, *An Analysis of Formulations of Post-Colonial Identity in the Work of Edward W. Said and Mahmoud Darwish*: *A Thematic and Stylistic* Analytical Approach, Unpublished PhD thesis, 2015, p59.

Tawfīq Bayḍūn, Ḥīdar. (1991). *Maḥmūd Darwish Shā’ir al-Arḍ al-Muḥtallah*. 1st edition. Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah.

Wedde, Ian. Mahmoud Darwish 1941-2008, *Ka mate ka ora: A New Zealand Journal of Poetry and Poetics.* 2009, 13(7):87, p6. Retrieved 6th July 2021 from http://www.nzepc.auckland.ac.nz/kmko/07/ka_mate07_wedde.pdf

Zaqūt, Nāhiḍ Khāmis. (2019, October). Tajrubah Maḥmūd Darwish al-Ḥayātiyyah wa al-Shi’riyyat wa Dawr Manāhij al-Ta’līm al-Jāmi’ī fī al-Ta’rīf bihā fī Jāmi’āt Muḥāfaẓat Gaza, *Majallah Jāmi’āt al-Azha*r, Gaza: ‘Adad Khāṣ bi ‘Amāl Mu’tamar Maḥmūd Darwish al-Qaḍiyyah wa al-Insān.